الثوابت العقائدية والاستراتيجية في المشاريع الدوليَّة

من كتاب

مشروع تمكين الأمة المسلمة

الإصدار الثاني

تأليف
حسن أحمد الدقي



- 1985م ميخائيل غورباتشوف سكرتير الحزب الشيوعي السوفيتي يبدأ بتطبيق رؤيته السياسية في إصلاح الاتحاد السوفيتي والتي أطلق عليها "بيريسترويكا".
- 1987م الرئيس الأمريكي رونالد ريغان والسوفيتي ميخائيل غورباتشوف يوقعان اتفاقية الحد من تصنيع الصواريخ النووية قصيرة ومتوسطة المدى.
- 1989م انسحاب جيش الاتحاد السوفيتي مهزوما من أفغانستان، وسقوط جدار برلين.
- 1991م إعلان سقوط وتفكك الاتحاد السوفيتي لكي تحل محله جمهورية روسيا الاتحادية، وانتهاء مرحلة الحرب الباردة [1].

ثالثا: الثوابت العقائدية والاستراتيجية في المشاريع الدولية

تعريف ثوابت المشاريع الدولية: يمكن تعريف ثوابت مشروع أي أمة أو مجموعة بشرية بما يلي: هي السمات والخصائص العقائدية والتاريخية والبشرية، التي يتبلور في ضوئها الوجود السياسي لأي أمة من الأمم، والتي تنعكس على تحديد مصالحها العليا وعلاقاتها الإقليمية والدولية، ورؤيتها الاستراتيجية، والتي يتم تبنِّيها من قبل قادتها وحكومتها.

وتعتبر عملية المحافظة على تلك الثوابت والدفاع عنها، هي المهمة الأساسية للنظام السياسي المُعبر عن مشروع أمة ما.

وقبل أن نستعرض الثوابت التي تتحكم في كل مشروع من المشاريع الدوليَّة، ينبغي الوقوف على سبعة عوامل أساسية، هي التي تسهم في تحديد ورسم ثوابت الأمم والمشاريع، وهي التي تحدد إمكانية التحاق أي أمة من الأمم بمعادلة التنافس الدولي وخروجها منها، وهذه العوامل السبعة هي:

(1) موقع شـبيغل أون لاين https://www.spiegel.de/international/europe/timeline-a-brief-history-of-the-cold-war-a-562290.html

العامل الأول: عامل العقائد، فقد لعبت العقائد الدور الأظهر والأوضح في تحديد ورسم ثوابت أي مشروع من المشاريع الأممية، ودخولها في ساحة التدافع الدولي، ومن أوضح الأمثلة في التاريخ، دور العقائد النصرانية في رسم ثوابت الأمم الأوربية المتعاقبة، كالبرتغاليين والإسبان، والهولنديين، والبريطانيين، والفرنسيين، والألمان، بل وحتى الأمريكان، فقد كان دافع الحروب الصليبية، واستشعار خطر أمة الإسلام، مؤثرا ومباشرا في ادعاء تلك الأمم بأنها تدافع عن العقيدة المسيحية، وتسعى لاستعادة المواقع التي فقدتها في الشرق، مما ربط أوروبا بالمسيحية في كل مشاريعها التي انتهت بالاتحاد الأوروبي، والذي يطلق عليه الأوروبيون "ناديا مسيحيا"، ولذلك رأينا استمرار سعي أوروبا للسيطرة على بيت المقدس، وإسقاط الخلافة العثمانية، حتى نجحت في مسعاها بداية القرن العشرين الميلادي، ولم تكتف بذلك بل تبنت المشروع الصهيوني، وزرعته بين ظهراني المسلمين، كامتداد للحروب الصليبية، التي تحولت إلى أحد أهم الثوابت في المشروع الأمريكي وهو حماية المشروع الصهيوني، وحماية النصارى البروتستانت والكاثوليك في العالم.

ويمكننا أن نقف على العامل العقائدي في تشكيل ثوابت المشاريع الأممية في العالم، من خلال النماذج التالية: العقيدة الشيوعية والإلحاد مع خليط من الكونفوشيوسية تشكل أحد ثوابت المشروع الصيني، والهندوسية ثابت من ثوابت المشروع الهندي الحديث، والأرثوذكسية ثابت من ثوابت المشروع الروسي، والاثنا عشرية الجعفرية مع إضافة ولاية الفقيه ثابت من ثوابت المشروع الإيراني، واليهودية ثابت من ثوابت المشروع الصهيوني وهكذا.

العامل الثاني: عامل التاريخ، حيث تشكل السَّرْدية التاريخية في وجود كل أمة، دافعا لدخولها إلى ميدان التدافع الدولي، وبلورة ثابت الحفاظ على ما تعتبره مصالحها العليا من خلال التاريخ، سواء كان ذلك من خلال العمل على إحياء تاريخ دولة أو مشروع سابق، أو الحفاظ على مكتسبات من مشاريع سابقة، أو الربط بين



محطات النصر والتفوق التاريخية للأمة المعنية، أو رفع المظلومية التي تعرضت لها تلك الأمة.

العامل الثالث: عامل الجغرافيا، والموقع الجيوسياسي، حيث يشكل ارتباط البشر العرقي والقومي بالجغرافيا، أحد أهم عوامل تشكيل ثوابت المشاريع الأممية، وذلك من خلال توارث السيطرة على أقاليم محددة، واعتبار تلك السيطرة ثابتا من ثوابت الأمة المعنيَّة، وحقا غير قابل للمنازعة من قبل بقية البشر، بل والاستعداد للانخراط في كافة أنواع الصراع، في سبيل المحافظة على تلك السيطرة، مع العلم بأنه غالبا ما تتعدى السيطرة الجغرافية للوحدة السياسية للمشروع على الحدود السياسية، لكي تشمل مناطق النفوذ الحيوية للمشروع المعني، مما يجعل العلاقات البشرية في حالة من الصراع والتدافع الدائم.

العامل الرابع: عامل البشر واللغة، حيث غالبا ما ترتبط أعراق ولغات بشرية معينة بمشروع سياسي يمثل مصالحها وتطلعاتها، مع اختلاط البعد العرقي والقومي بالبعد الديني والذي أطلق عليه حديثا مصطلح "الجماعات العِرقية"، ومن أجل حماية ورعاية تلك المجموعات فإن المشاريع الأممية تجعله ثابتا من ثوابت مشاريعها وتنافسيتها مع بقية المشاريع.

العامل الخامس: عامل الفكر والفلسفة، وهو العامل الذي يشكل المذاهب السياسية التطبيقية، حيث تتحكم تلك المذاهب في صياغة الاستراتيجيات بعيدة المدى في مشاريع الأمم، وتحدد رؤاها، وتصرفاتها، وعلاقاتها بالبشر، والثروة، التي تقع في حدود المشروع، وكذلك ببقية البشر خارج حدود المشروع، أي العلاقات الدولية، ومن أوضح نماذج تأثير هذا العامل في تحديد ثوابت المشاريع، ما رأته البشرية في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين، عند تشكل نموذجي المشروع الرأسمالي في مرحلة أولى، وتشكل المشروع الشيوعي في مرحلة ثانية، فقد تأسس المشروع الرأسمالي الغربي على أطروحات مجموعة من الفلاسفة كان من أبرزهم آدم



سميث (1723-1790) وديفيد هيوم (1711-1776) وصولا إلى اللورد كينز (1883-1946)، ثم تأسس المشروع الشيوعي الاشتراكي على أيدي الفلاسفة الذين نقدوا الفكر الرأسمالي وتطبيقاته وفي مقدمتهم كارل ماركس (1818- 1883)، وهو فيلسوف واقتصادي ألماني يهودي، واشترك معه في تأسيس نظرية الشيوعية العلمية صديقه فريدريك إنغلز (1820- 1895)، وعلى ضوء تلك الفلسفة وُلِدَ مشروع الاتحاد السوفيتي، فقد استقى الشيوعيون منها ثوابت مشروعهم السياسي العقائدي غداة سيطرتهم على روسيا القيصرية عام 1917م.

العامل السادس: عامل الثروة والاقتصاد، ولهذا العامل في تاريخ التدافع والصراع البشري اتجاهان رئيسيان، في تشكيل وتحديد ثوابت المشاريع الأممية، أما الاتجاه الأول، فهو اتجاه داخلي يدفع الأمة المعنيَّة بالسعي للحفاظ على ثرواتها الطبيعية، امكاناتها الاقتصادية، ومنع بقية الأمم المنافسة من الاستحواذ على تلك الثروات بأي نوع من الاستحواذ أو السيطرة، والاتجاه الثاني هو اتجاه خارجي يدفع بالأمة المعنيَّة إلى منافسة بقية الأمم على الثروات والأسواق في العالم، وطرق التجارة العالمية، ولذلك فهو يؤثر في تحديد ما تعتبره الأمم مصالح عليا، سواء كانت مناطق نفوذ متاخمة للحدود الطبيعية للأمة المعنيَّة، أم كانت مناطق سبق لهذه الأمة أن سيطرت عليها أو فرضت عليها نوعا من النفوذ والهيمنة، كما سعت أمريكا لفرض نفوذها وسيطرتها في العالم أجمع بُعيد سقوط الاتحاد السوفيتي عام 1991م، ومحاولة انفرادها بالهيمنة، وتطبيق نظريتها التي أطلقت عليها نظرية "القطب الأوحد".

العامل السابع: عامل العلوم والتقنية والصناعة، وهو عامل حاسم في تقرير قدرة أي أمة من الأمم على الدخول في التنافسية الدوليَّة، كما أنه يُضفي على بقية العوامل غطاء من الثقة والاندفاع والتماسك، وهو ما أمر الله عز وجل به الأمة المسلمة بقوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ



اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال:60، وتأتي عمليات البحوث والاختراعات في مقدمة أدوات هذا العامل، ثم التمكن من حيازة الأسلحة الاستراتيجية، وملاحقة التطورات والتنافسية في الدوليَّة في عملية الاختراع والتصنيع.

وفيما يلي استعراض أهم الثوابت في كل مشروع من المشاريع الدولية:

1. **ثوابت المشروع الأمريكي:**

- العقيدة القتالية فيما وراء البحار
- تمثيل أمم النصارى عالميا وخوصا البروتستانت والكاثوليك
- احتواء الصين والخوف الدائم منها
- التحكم في ثروات العالم والطاقة
- الحمائية والانغلاق
- هاجس الهيمنة العالمية
- الهيمنة على أوروبا وتابعيتها لأمريكا
- الهيمنة على الشرق الأوسط وحماية إسرائيل
- العولمة والسيطرة الثقافية والتفوق التقني
- التحكم في مؤسسات النظام المالي العالمي
- التفوق في الأسلحة الاستراتيجية والنووية
- الخوف الدائم من الإسلام وعودة الأمة المسلمة

2. **ثوابت المشروع الأوروبي:**

- الحفاظ على إرث أوروبا الديني والتاريخي
- هاجس التعملق والنمو الاقتصادي
- التذبذب بين التكامل والتباين الأوروبي والتنافس الداخلي
- الخوف الدائم من روسيا



- الخوف الدائم من الإسلام
- السمة النصرانية الغالبة
- الحبل السري الأمريكي
- النفوذ العالمي والهيمنة على المستعمرات القديمة
- إرث تاريخ الحملات الصليبية والعلاقة بالشرق الأوسط
- تحدي ضعف النمو السكاني والكتلة البشرية
- الخوف من الصراع الأوروبي الداخلي

3. **ثوابت المشروع الروسي:**

- العقيدة الأرثوذوكسية وتمثيلها عالميا
- العداوة التاريخية مع أوروبا
- العداوة التاريخية مع تركيا
- الخوف الدائم من الإسلام والأقليات المسلمة في روسيا
- التوازن الحرج في العلاقة مع الصين والهند
- عقد الإرث السوفيتي بين الإحياء والفشل
- الحاجة الدائمة لحوائط الصد الشرقية والجنوبية والغربية
- الحقد الدفين ضد أمريكا بسبب دورها في إسقاط الاتحاد السوفيتي
- تحدي ضعف النمو السكاني والكتلة البشرية
- تغذية الصراعات عالميا وإدامتها
- التفوق في الأسلحة الاستراتيجية والنووية

4. **ثوابت المشروع الصهيوني:**

- عقيدة التلمود والتفوق الديني
- ربط المشروع ببيت المقدس ورمزيته



- الاعتماد على الدعم المسيحي العالمي وبالذات من النصارى البروتستانت
- التموضع في النظام العالمي والتحكم في إدارته
- السيطرة الاقتصادية العالمية عبر التحكم بأدوات النظام المالي العالمي
- اختراق وتوظيف المنظومات الأمنية والعسكرية
- التفوق التقني والصناعي
- قيادة الأداء الإعلامي وصناعة الرأي العام العالمي
- إشعال الحروب وتغذية النزاعات عالميا وإقليميا
- اختراق وتوظيف أنظمة الحكم في العالم العربي والإسلامي
- توظيف الفساد الأخلاقي للهيمنة العالمية
- تعويض النقص البشري الخطير بالثوابت السابقة

5. ثوابت المشروع الصفوي الإيراني:

- إحياء الصفوية الفارسية كنموذج أعلى في تاريخ الشيعة
- الحقد العقائدي والباطني على الأمة المسلمة وغالبيتها السُّنِّيَّة
- منع عودة الخلافة الإسلامية ومرجعية الأمة السُّنِّيَّة
- ربط جميع الأقليات الشيعية والباطنية في العالم بالمشروع
- التعاون والتحالف مع جميع الديانات المناقضة للأمة المسلمة
- اللعب على التناقضات الدولية
- استغلال الموقع الجيوسياسي لإيران
- العمل على جعل المرجعية الإيرانية هي مرجعية المسلمين في العالم
- تعويض النقص في المشروع بالسعي لامتلاك التقنية والسلاح النووي
- تقليد المشاريع العالمية في نظريات الصراع والهيمنة
- الدور الوظيفي الإقليمي



6. ثوابت المشروع الصيني:

- الجميع بين الإرث الشيوعي الحديث والكونفوشيوسية
- تطعيم النظام الشيوعي بالأداء الرأسمالي الغربي
- عقيدة المنافسة الاقتصادية العالمية
- مغالبة الاختراق الغربي لمناطق النفوذ الصينية التقليدية
- الاستنفار الدائم أمام العملاق الهندي
- أزمة الكتلة البشرية الهائلة بين التشظي والسيطرة والتوظيف
- الانكفاء البشري الجغرافي وتنامي الشيخوخة في المجتمع الصيني
- عقدة التحدي العالمي والتواصل الاقتصادي
- عقيدة التفوق التقني والصناعي وتنافسية تصنيع السلاح
- الخوف الدائم من التفوق العقدي الإسلامي

7. ثوابت المشروع الهندوسي:

- بناء المشروع على العقيدة الهندوسية المتطرفة
- توظيف الكتلة البشرية في التفوق العلمي والتقني
- الاستنفار العسكري الدائم أمام باكستان
- عقدة الخوف من الصين والاستنفار الدائم أمامها
- الحقد على الإسلام والخوف الدائم من الكتلة المسلمة في الهند
- استثمار التناقضات الدولية في جنوب وغرب ووسط آسيا
- توظيف السوق الهندية الضخمة في العلاقات الدولية
- تفضيل العلاقة بالغرب والشعور بالدونية أمامه لأسباب تاريخية
- إمكانية تجديد الارتزاق الهندي العسكري في العالم
- عقدة الطبقية الاجتماعية وإمكانية الانهيارات الداخلية



ويمكننا حصر أثر تلك الثوابت العقائدية والتاريخية في المشاريع الدولية فيما يلي:

الأثر الأول: الأثر الأوضح للثوابت العقائدية والتاريخية في المشاريع الدولية، أنها هي التي تقوم بدور إعادة وتكرار نفس نماذج المشاريع الأممية في التاريخ، على اختلاف الأزمنة والأجيال، بل وتحدد العلاقات الدولية بين الكتل البشرية من عداء وتحالف.

الأثر الثاني: استمرار التدافع والصراع في النظام الدولي، والمغالبة بين الأمم، وبالتالي اللجوء للحروب لتحديد وضع نهائي في كل مرحلة من مراحل ذلك الصراع.

الأثر الثالث: تقديم البعد العقائدي وما يرتبط به من تفسير سياسي، على المصالح الاقتصادية، في صراعها مع بقية الأمم، دون إهمال أثر وفاعلية المصالح الاقتصادية.

الأثر الرابع: انعكاس الأبعاد العقائدية، على الأبعاد الأخلاقية والمبدئية في الصراع، حيث نلاحظ أثر التوجهات العقائدية للمشاريع المختلفة، على تصرفاتها وممارساتها الأخلاقية، حيث تتحد جميع عقائد المشاريع -عدا الأمة المسلمة- في تبرير كل أنواع الانتهاك والسحق في الصراع، وعدم الالتزام بأي مبدأ إنساني، وأوضح تلك الممارسات إقدام أمريكا على استخدام السلاح النووي ضد اليابان في الحرب العالمية الثانية، ثم تطوير واستخدامات الحرب الكيماوية، والبيولوجية الخطرة، والحروب الالكترونية، وغيرها.

الأثر الخامس: عدم ثبات النظام العالمي والعلاقات الدولية على صيغة واحدة، وحدوث التحولات الدائمة والمستمرة بين أطرافه، وفق استمرار العوامل التي ساهمت في تشكيله، وإن كانت عملية التغيير تتصف بالبطء، وفق دورات زمنية وتاريخية؛ وبالنظر في وضع النظام العالمي الحالي، فهو يمر الآن بمرحلة انتقالية خطرة وغير متزنة، بعد أن تلاشت العوامل التي شكلت مرحلة "الحرب الباردة"، وبعد



أن فشلت أمريكا في سد الفراغ الناجم عن سقوط الاتحاد السوفيتي، وعودة نظام القطبية المتعددة غير المتوازنة، ولم يعد بوسع مؤسسي النظام العالمي أي الخمسة الكبار المحافظة عليه، بل إن المؤشرات تقول بأنهم سيكونون الوقود الذي يساعد في حرقه وإنهائه، بدليل تهاوي الاتفاقيات الدولية بينهم، وتسارع الصدامات السياسية والأمنية والاقتصادية، وعدم قدرتهم على ضبط العالم كما كانوا يفعلون من قبل.

الأثر السادس: اندفاع قوى جديدة للدخول في النظام العالمي، والتنافس على السيطرة العالمية، وبالتالي تهديد النظام القديم بالانفراط، ومن أهم الداخلين الجدد، المشروع الأوروبي بقيادته الجديدة المتمثلة في ألمانيا وبقية القوى الأوروبية، والمشروع الهندوسي، والمشروع الإسلامي الذي يمثل مليارى مسلم، وإن كان المسلمون لم يستوفوا أدوات الصراع الدولية بعد، كحال بقية المشاريع، لكن التحفز والفاعلية التي تبديها الأمة المسلمة، على مستوى العالم تدل على هذا التقدم، وخصوصا بعد مساهمة الأفغان طوال عقدين من الزمن في إخراج تحالف الناتو من الصراع الدولي، وإضعافه وكشف مستوى إمكاناته الحقيقية في الصراع، وبعد ثورة الشعوب العربية وما أحدثته تلك الثورة ولا تزال، من آثار تكاد تغير النظام العالمي بأسره، وما أحدثه الشعب التركي من تطور وتموضع في النظام العالمي، وما يمكن أن تضيفه باكستان من ثقل للأداء الإسلامي العالمي.

رابعا: المُحرِّكات السياسيَّة والإقليمية في النظام العالمي

ويمكن تعريف المحرِّكات السياسيَّة والإقليمية: بأنها عبارة عن الأحداث والتطورات السياسية الكُبرى، التي تنبثق عن حراك الشعوب وتدافع المشاريع الدولية، كنشوب الحروب، وآثار انتهاء الحروب من نصر وهزيمة، والثورات الشعبية؛ ودور النُّظُم الإقليمية في الحراك الدولي، وتأثيرها على السياسات العالمية، واضطرار اللاعبين الرئيسيين في النظام العالمي للتفاعل مع تلك الأحداث وتغيير الاستراتيجيات.